

العنوان:	جهود ابن حزم في نقض العهد الجديد
المؤلف الرئيسي:	أبو سنيمة، تهاني عبدالعزيز محمد
مؤلفين آخرين:	الدجني، يحيى علي يحيى(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2015
موقع:	غزة
الصفحات:	1 - 163
رقم MD:	737164
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	الجامعة الإسلامية (غزة)
الكلية:	كلية اصول الدين
الدولة:	فلسطين
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	عقائد النصارى ، الأناجيل الاربعة، العقائد ، ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، 384-456 هـ
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/737164

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

أبو سنيمة، تهاني عبدالعزيز محمد، و الدجني، يحيى علي يحيى. (2015). جهود ابن حزم في نقض العهد الجديد (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الإسلامية (غزة)، غزة. مسترجع من
<http://search.mandumah.com/Record/737164>

إسلوب MLA

أبو سنيمة، تهاني عبدالعزيز محمد، و يحيى علي يحيى الدجني. "جهود ابن حزم في نقض العهد الجديد" رسالة ماجستير. الجامعة الإسلامية (غزة)، غزة، 2015. مسترجع من
<http://search.mandumah.com/Record/737164>

الفصل الأول

الإمام ابن حزم: عصره وحياته العلمية وعقيدته

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: عصر ابن حزم.

المبحث الثاني: حياة ابن حزم العلمية.

المبحث الثالث: علم ابن حزم ومصنفاته.

المبحث الرابع: عقيدة ابن حزم.

المبحث الأول

عصر ابن حزم

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الحياة السياسية

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية.

توطئة:

اسمه ونشأته: ابن حزم يكنى بأبي محمد وهو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب ابن صالح بن خلف بن معدن بن سفيان بن يزيد أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم. لقب ألقاباً كثيرة منها الإمام الأوحد، الحافظ، العالم، ناصر الدين كان حافظاً عالمياً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، متفنناً في علوم جمة عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله من الوزارة وتدبير الممالك، متواضعاً ذا فضائل جمة، وتواليف كثيرة في كل ما تحقق به في العلوم وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات شيئاً كثيراً، وسمع سماعاً جماً، وأول سماعه من أبي عمر أحمد بن محمد بن الجسور.⁽¹⁾

"فليس لابن حزم لقب مميز به، وإنما ذكرت المصادر ألقاباً له اشتهرت بين علماء المسلمين وتذكر عادة قبل أسمائهم، مثل الحافظ، الفقيه، المجتهد، ويكنى بأبي محمد، وكثيراً ما كان ابن حزم يصدر كلامه بقوله: قال أبو محمد"⁽²⁾.

ويصور لنا ابن حزم جانباً من حياته في رحلة مع أصدقائه فيقول:

تنزهت أنا وجماعة من إخواني من أهل الأدب والشرف إلى بستان لرجل من أصحابنا، فجلسنا ساعة، ثم أفضى بنا القعود إلى مكان، فتمددنا في رياض أريضة وأرض عريضة، للبصر فيها منفسح، وللنفس لديها مسرح، بين جداول تطرد كأباريق اللجين، وأطيّار تغرد بألحان تزرى بما أبدعه معبد.... لكن عند سقوط الدولة العامرية -التي رفع الحاجب المنصور قواعدها- طوح بمجد أسرته وجاهاها، فالحرب الأهلية بادئ الأمر إلى المرية، ثم نفي إلى بلنسية فاتصل بعبد الرحمن الرابع الأموي الذي استطاع أن يحتفظ بخلافته، ثم بعد ذلك تمكن ابن حزم من العودة إلى مسقط رأسه حيث وزر لعبد الرحمن الخامس الخليفة الأموي، وفي أوائل سنة 1024م، 1027م نجده في شاطبة اختتم صفحة شبابه برسالته في الحب الإنساني التي تحدث عنها في كتابه "طوق الحمامة" التي شرح فيها نظرية الحب الإنساني.

(1) انظر: ابن حزم وموقفه من الإلهيات - عرض ونقد، أحمد بن ناصر الحمد، ص17، الطبعة الأولى 1406هـ، بتصرف، انظر جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، محمد بن فتوح أبو عبد الله بن أبي نصر، ص308، بدون طبعة، الدار المصرية للتأليف والنشر - القاهرة، 1966م

(2) الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس (ابن حزم - الخزرجي)، خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، ص10، بدون رقم طبعة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ النشر 2001م

وبعد فترة يسيرة شرع في وضع مؤلفه الديني التاريخي العظيم "الفصل في الملل والأهواء والنحل" عرض فيه الفرق الإسلامية، وللياننتين اليهودية والنصرانية.⁽¹⁾

"وأما عن منهج ابن حزم فكان أول أمره شافعي المذهب، ولكنه أصبح من الظاهرية الذين يرفعون لواء الإسلام كما كان عليه منذ نشأته الأولى، وشاركهم مواقفهم ضد الأشعرية، وضد الصوفية، وتقديس الأولياء وضد الخرافات".⁽²⁾

إن أي مرحلة يمر بها الإنسان لا بد وأن تؤثر فيه إما سلباً أو إيجاباً، فقد عاش ابن حزم عدة مراحل أثرت في شخصيته وجعلته عالماً وفقياً، وابن حزم يعد من رجال الجدل المشهور بمناقشته الجدلية مع أهل الفرق ولا بد من ذكر الظروف التي عاشها ابن حزم وهي:

المطلب الأول

الحياة السياسية

"استقر حكم الإسلام في شبه الجزيرة الإيبيرية ثمانية قرون، منذ فتحها بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير وآخرين - سنة 92هـ (711م) حتى سقوط غرناطة سنة 897هـ (1492م). ومرت الأندلس في هذه القرون بعدة عهود، تقلبت خلالها بين الضعف والقوة وبين النصر والهزيمة، وهو ما يمكن إجماله في المراحل التالية":⁽³⁾

أولاً- فتح الاندلس:

تعتبر مرحلة فتح الأندلس من أطول دول الإسلام عمراً، حيث بقيت تلك الدولة سنة 92هـ، صامدة في وجه العدو، لكنها كانت تتقلب بين القوة والضعف وتوحد وتفرق، ولكن عندما أحاط بها الأعداء سقطت فكان لسقوطها ألم على نفوس المسلمين حينذاك، واتسمت هذه الفترة بالتوتر وعدم الاستقرار وشيوع الخوارج وفكرهم، اشتعال العصبية القبلية، تدمير البربر من معاملة التحيز للعرب.

لكن سرعان ما بدأ الحلم من المغرب، بعد نجاح القائد الفذ عقبة بن نافع الفهري بعد توليه إمارة الحكم في ولاية إفريقية بأمر عبد العزيز بن مروان، حيث تولى موسى بن نصير الجزء

(1) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد بن علي بن حزم المعروف بابن حزم، محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، ج1، ص3، ص4، بدون طبعة، دار الجبل، بدون تاريخ، بتصرف .

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص5.

(3) التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897هـ (711-1492م)، عبد الرحمن علي الحجي، ص39، الطبعة الثانية، دار القلم، دمشق . بيروت، 1402هـ 1981م.

الأعظم من المغرب، حيث قام موسى بن نصير بشن حملات ضد البربر للقضاء على التمرد والعصيان، فاستخدم بن نصير وسائل القوة والرهبة للسيطرة على المتمردين حيث كان لتلك الحملات نتائج إيجابية منها:

1. أصبح البربر يخافون من الدولة الإسلامية.
2. قامت القبائل البربرية بالدخول في الإسلام.
3. الإقبال على تعلم اللغة العربية والقرآن الكريم.

"فموسى بن نصير تولى أمر بلاد المغرب وهي تضطرم ناراً، فكان أول عمل له هو تأمين قواعد انطلاقه، ثم انصرف لإخماد الفتن، والقضاء على الثورات، وتصفية قواعد العدوان، وبناء المجتمع الإسلامي الجديد، فيتضح من هذا العمل أن موسى بن نصير كان من أعظم رجال الحرب والإدارة المسلمين في القرن الأول الهجري، فقد ظهرت براعته الإدارية في جميع المناصب التي تقلدها، فظهرت براعته الحربية في الحملات البرية والبحرية، وظهرت مواهبه واضحة في حكمه لإفريقية".⁽¹⁾

"بدأ موسى استشارته للخلافة في دمشق (الواليد بن عبد الملك: 86-96) قبل اتصالاته بيليان، أو اتصال هذا الأخير بموسى، وقد ترددت الخلافة بادئ الأمر- بالقيام بمثل هذا العمل الكبير، خوفاً على المسلمين من المخاطرة في مفاوز أو إيقاعهم في مهالك، لكن موسى أقنع الخليفة الوليد بالأمر؛ ثم تم الاتفاق على أن يسبق الفتح اختبار المكان بالسرايا أو الحملات الإستطلاعية، فأرسل موسى في رمضان سنة 91هـ (710م) سرية استكشافية إلى جنوب إسبانيا مكونة من خمس مئة جندي، منهم مئة فارس بقيادة طريف بن مالك الملقب بابي زُرعة، وهو مسلم من البربر، وجاز هذا الجيش الزقاق -اسم يطلق أحياناً على المضيق من سبتة، بسفن يليان أو غيره، ونزل قرب أو في جزيرة بالوما".⁽²⁾

ثانياً- عهد الولاة:

بعد انتهاء عهد الفتح يبدأ عهد جديد في تاريخ قصة الأندلس يسمى عهد الولاة، الذي يبدأ من (55هـ/714م) ويستمر مدة اثنين وأربعين عاماً حيث ينتهي عام 138هـ (755م)، وعهد الولاة يعني أن حكم الأندلس في هذه الفترة كان يتولاها رجل يتبع الحاكم العام للمسلمين، وهو الخليفة

(1) قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، راغب السرجاني، ص32، الطبعة الأولى، 1432هـ، 2011م، مؤسسة

إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة.

(2) التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897هـ، ص45.

الأموي الموجود في دمشق في ذلك الوقت، وكان أول الولاة على الأندلس هو عبد العزيز بن موسى بن نصير رحمه الله ت97هـ (716م) وكان كأبيه في جهاده وتقواه وورعه.

لكن إذا نظرنا إلى عهد الولاة نرى أنه تعاقبه اثنان وعشرون والياً، فيصبح مجموع فترات حكم الأندلس اثنين وعشرين فترة من خلال اثنين وأربعين عاماً، وهذا التغيير للحكام أثر تأثيراً سلبياً على بلاد الأندلس، ولكن هذا التغيير كان له مبرره، لأن كثيراً من الولاة كانوا يستشهدون أثناء جهادهم في بلاد فرنسا.

وبحسب طريقة الإدارة وطريقة الحكم يمكننا تقسيم عهد الولاة إلى فترتين: وهي فترة القوة فترة جهاد وفتوح وعظمة للمسلمين وامتدت تلك الفترة من بداية عهد الولاة من عام 95هـ (714م) وحتى عام 123هـ (741)، وفترة الضعف والمؤامرات ومكائد واستمرت تلك الفترة من سنة 123هـ (741م) وحتى سنة 138هـ (755م).⁽¹⁾

"ويمثل عهد الولاة في الأندلس التحول والانتقال إلى حياة جديدة خيرة، فيها التتور والامتداد في الغروس الثابتة النيرة، وهو هدف أصيل ومهمة تهدف الإنسان: تنظيفاً وتقيّة وإعلاءً وتكرمة، في كل ميدان، ليحدث ازدهار الشجرة الطيبة التي تؤتي أكلها يانعة: لونا سامي السميت، غزير الإنتاج، فريد المثال، هبة الله وهدايته: نوراً مضيئاً في عالم الإنسان".⁽²⁾

ثالثاً - الإمارة الأموية :

في زمن سقوط دولة بني أمية في المشرق، قتل العباسيون كل من كان مؤهلاً من الأمويين لتولي الخلافة؛ فقتلوا الأمراء وآباء الأمراء إلا قلة ممن لم تصلهم سيوفهم، فكان من هؤلاء الذين لم تصلهم سيوف بني العباس -عبد الرحمن بن معاوية حفيد هشام بن عبد الملك الذي حكم من سنة 105هـ (723م) إلى سنة 125هـ (743م)، حيث هرب من مكانه ومستقره إلى بعض القرى في العراق ناحية الفرات، لكن المطاردة العباسية لم تتركه بشأنه، فهرب عبد الرحمن بن معاوية وأخوه هشام نحو الفرات لكن أدركتهم خيول العباسيين، فألقى عبد الرحمن بن معاوية وأخوه في نهر الفرات، ومن بعيد ناداهما العباسيون: أن لكما الأمان لكن هشام لم يقو على السباحة، وأثر فيه نداء العباسيين وأمانهم، فناداه عبد الرحمن يشجعه على عدم العودة، وقال له لا تعد يا أخي، وإلا سوف يقتلونك، فرد عليه: أنهم قد أعطوه الأمان، فرجع إليهم، فما أن أمسك به العباسيون حتى قتلوه أمام أخيه عبد الرحمن، بالرغم من هذا الموقف المؤلم لعبد الرحمن إلا أنه تابع مسيرته واتجه

(1) انظر: قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ص85، ص86، بتصرف.

(2) التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897هـ، ص131.

إلى بلاد المغرب حيث هناك أخواله، فكانت الأندلس أصلح البلدان لاستقباله؛ لأنها كانت أبعد الأماكن عن العباسيين والخوارج؛ ولأن الوضع في الأندلس ملتهب جداً.⁽¹⁾

"ينتهي عهد الولاة -الذي يليه عهد الإمارة- بمجيء عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس، حيث آخر الولاة يوسف الفهري، وذلك بعد سقوط الدولة الأموية في الشام سنة 132هـ (750م). وقد تعقب العباسيون الأمويين، وكان ممن هرب أبو المطرف عبد الرحمن (الداخل) بن معاوية. ومعاوية هذا، هو "جد أمراء الأندلس". ويكون عبد الرحمن الداخل حفيد هشام بن عبد الملك 105-125هـ (724-743م) عاشر الخلفاء الأمويين في الشام".⁽²⁾

رابعاً - الخلافة الأموية:

هذه المرحلة اتسمت بسياسة حكيمة قادها قائد فذ هو عبد الرحمن الناصر الذي كان يتصف بأخلاق الإسلام العظيم فكانت معاملته معاملة طيبة جعلت من أعدائه يحبونه ويتقربون إليه، وهذه المعاملة ظهرت من خلال معاملته لأفراد شعبه حيث كان رحيماً بهم.

عبد الرحمن الناصر تربي على التربية الإسلامية الصحيحة، فقد تولى الحكم وقام بأمر الإمارة، فإذا به يُحيل الضعف إلى قوة، والذل إلى عزة، والفرقة إلى وحدة، ويبدد الظلام بنور ساطع يشرق في كل سماء الأندلس تحت مجد وسيادة وسلطان، وبعد تولي عبد الرحمن الناصر الحكم أقدم على تغيير التاريخ، حيث قام ببناء الأندلس بعدما كانت في ضعف وفرقة، حيث قام بإعادة توزيع المهام والمناصب، وتنظيف قرطبة، ففي ذلك الوقت لم يكن عبد الرحمن يملك سوى قرطبة لذلك قام بتغيير البطانة التي حوله، ثم بعد ذلك اتجه عبد الرحمن الناصر إلى الشأن الخارجي بعدما انتهى من الشأن الداخلي، فأرسل حملة يقودها عباس بن عبد العزيز القرشي إلى قلعة رباح.⁽³⁾

"تلقى عبد الرحمن الناصر من جده الأمير عبد الرحمن عبد الله العناية وولاه العهد من بعده، وربما كان ذلك -أو هو اعتبره- تعويضاً لفقدان ابنه محمد، فما أن شب عبد الرحمن الناصر حتى ظهرت عليه علامات النجابة والذكاء، وكان عند حسن ظن جده الذي توسم فيه خيراً، ولما توفي الأمير عبد الله تولى حفيده الناصر الحكم، وكانت الأندلس يومها تحتاج إلى الهمة العالية

(1) انظر: قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ص137، ص138، ص143، بتصرف.

(2) التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897هـ، ص215.

(3) انظر: قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ص195، بتصرف.

والسياسة الحكيمة لحل مشاكلها وتوفير الاستقرار المطلوب والاستمرار في دفع موكب الحضارة الخيرة والانتاج الفكري المترعرع في ربوعها".⁽¹⁾

عوامل القوة في أسبانيا:

1. وحدة الجبهة الداخلية التي تحققت لأول مرة على يد عبد الرحمن الناصر بعد فترة من التفكك والانقسام.
2. اتباع سياسة حكيمة تجاه أفراد الشعب.
3. عدم اتباع أسلوب الإرهاب والاستبداد تجاه شعبه.
4. اتباع اتجاه أعدائه في الداخل سياسة تتصف بالاعتدال والقوة أحياناً.
5. معاملته لأعدائه معاملة طيبة حيث كان يوفر لهم الحياة الكريمة، كي لا يفكروا في العصيان والتمرد.
6. لم يكن يلقبهم في غياهب السجون بل كان رحيماً بهم.⁽²⁾

خامساً - عهد ملوك الطوائف:

بعد مرحلة الخلافة الأموية وما اتصفت به من القوة جاءت المرحلة التي تليها ألا وهي مرحلة عهد الملوك أو عهد الطوائف حيث كانت الأندلس في هذه الفترة متفرقة وليست متحدة لذلك كانت هذه المرحلة من أصعب المراحل حيث كانت تتسم بالتنازع والفرقة والانقسام فكان لا يربطها لاعرق ولا دين.

فكانت من أصعب فترات التاريخ الأندلسي، وأكثرها تعقيداً، فبالرغم من قصر المدة، إلا أنها تتسم بالأحداث المتعاقبة، والتنازع والفرقة؛ فصارت الأندلس متفرقة، لا يجمعها رابط عرق ولا دين، فكانت هذه الأحداث كفيلة بأن تجعل القرن الخامس الهجري من القرون المظلمة في تاريخ الأندلس، فمنذ إعلان إلغاء الخلافة الأموية في الأندلس بدأت تقسيم الأندلس بحسب العنصر إلى دويلات مختلفة، ليبدأ بعهد دويلات الطوائف، أو ملوك الطوائف.⁽³⁾

(1) التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897هـ، ص 297.

(2) انظر: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، رجب محمد

عبد الحليم، ص 166، بدون طبعة، دار الكتب الإسلامية، بدون تاريخ، بتصرف.

(3) انظر: قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ص 321، بتصرف.

"فسادت الأندلس -بعد سقوط الخلافة- حالة من الارتباك والحيرة، تبينت خيوطها السوداء بقيام دول متعددة فيه، عرفت بدول الطوائف (دويلات أو ملوك أو أمراء الطوائف)، هذه التسمية واضحة المدلول في وصف حالة الأندلس الذي توزعته عدة ممالك، وإن تفاوتت قوتها وأهميتها ومساحتها ودورها في أحداث الأندلس، كان بعضها يترصد ليحوز ما بيد غيره من الأمراء، مثلما كانت سلطات أسبانيا النصرانية تترصد بهم جميعاً".⁽¹⁾

اتسمت هذه المرحلة بعدة سمات منها:

1. التمتع والترف الشديد حتى أصبح هم الرجال والنساء الغناء.
2. الاستعانة بالنصارى حيث كان كل واحد منهم يترصد ليحوز ما بيد غيره ومن أجل أن يهزم أخاه المسلم.
3. الاقتتال فيما بينهم من أجل أطماع مادية وشخصية.
4. شيوع المنكرات وأنواع الفسوق وشرب الخمر والسرقة.

سادساً - دولة المرابطين:

جاءت بعد مرحلة ملوك الطوائف التي كانت تتسم بالفرقة والتنازع والانقسام والتفكك، وحيث كانت من أصعب الفترات في التاريخ الأندلسي جاءت بعدها مرحلة دولة المرابطين والتي نشأت في القرن الخامس الهجري التي كان يرأسها عبد الله ياسين والذي كان يسير على النهج الإسلامي وأول ماعمله هو بناء خيم وبدأ يعلم فيها الإسلام كما نزل الله ولكن عندما تزايد العدد ولم يستطع توصيل علمه قام بتقسيمهم إلى مجموعات، لكن بعد ذلك بدأ الضعف والتفكك في دولة المرابطين والسبب هو تولي الحكم ضعاف النفوس الذين كان همهم الدنيا.

فبعد الله بن ياسين الزعيم الأول للمرابطين، صاحب الدعوة الإصلاحية، ت451هـ (1059م)، كان من أهل الدين والفضل، والنقى والورع والفقه، والأدب والسياسة، وكان نواة دولة المرابطين، فقد استقر عبد الله بن ياسين في منحى نهر (النيجر)، على مقربة من مدينة تيبكتو، حيث صنع خيمة بسيطة، ومن الطبيعي أن يكون في جدالة بعض الناس -وخاصة الشباب- الذين تحركت قلوبهم وفطرتهم السوية لهذا الدين، وفي خيمته وبصبره أخذ يعلمهم الإسلام كما أنزله الله، ومع كثرة الخيام وازدياد العدد، أصبح من الصعب توصيل علمه فقام وقسمهم إلى عدة مجموعات⁽²⁾، وقام المرابطون في المغرب الأقصى يدعون إلى تأكيد التمسك بالإسلام وتعاليمه

(1) التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897هـ (711-1492م)، ص326.

(2) انظر: قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ص469، ص471، بتصرف.

وآدابه، وتجديد جريان الحياة في تياره وإشباعها بروحه واتخاذ دستوراً شاملاً يحكم حياة الإنسان في كل أحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حيث امتدت حركتهم حتى أقامت دولة شملت مناطق وأنحاء كثيرة في المغرب الكبير، وانضوت الأندلس تحت جناحها، وعمرت دولتهم نحو مئة عام.⁽¹⁾

سابعاً - دولة الموحدين:

هم اتباع محمد بن تومرت، وقد سموا أنفسهم بالموحدين لاعتقادهم أنهم هم المؤمنون الذين يوحدون التوحيد الخالص وأن غيرهم ضال، لكن في الحقيقة هم أضل الناس وخصوصاً في العقائد حيث نفوا الصفات، فقام الموحدون على إرغام أهل الأندلس على تقبل العقيدة التي جاءوا بها، ولكن سرعان ما انهزموا أمام الصليبيين في معركة العقاب 609هـ، فانهارت قواعدهم.

فكانت دولة المرابطين تتجه بقوة نحو هاوية سحيقة وكارثة محققة، إذ كان لابد من استبدالهم بغيرهم، فكان محمد بن تومرت صاحب منهج في التغيير والإصلاح مختلف بالكلية عن منهج الشيخ عبد الله بن ياسين رحمه الله.

فقد نشأ في بيت متدين، لكن ما أخطأ به محمد أنه أراد تغيير المنكر تغييراً جذرياً ودفعة واحدة.⁽²⁾ "دعت هذه الجماعة إلى الفهم النقي والتوحيد الخالص وصفاء العقيدة، أطلقت على نفسها اسم "الموحدون"، الذين يرفضون كل ما يسيء إلى عقيدة التوحيد".⁽³⁾

ثامناً - سقوط الأندلس :

تاريخ الدولة الأندلسية من أطول وأخصب دول الإسلام عمراً وعبرة وأبلغها فقد امتدت دولة الإسلام قرابة الثماني قرون مرت خلالها الأندلس بعدة مراحل وأطور بين قوة وضعف ووحدية وتفرق، ولم يكن سقوط غرناطة بالشيء الذي حدث فجأة لطول عمر الدولة الأندلسية ولتقلبها من حال إلى حال، حيث مرت الأندلس بعدة مراحل قبل مرحلة سقوطها.

كانت غرناطة من أجمل بلاد الأندلس فانهجها بجمالها بموقع جميل ، رائع الوصف والحسن، فهي تسكن في واد عميق يمتد منحدرًا من الشمال الغربي لجبال (سيرا نيفادا)، وتحيط بها الغابات العالية من الشرق ومن الجنوب... فكانت تشرف من الناحية الجنوبية على سهل شاسع وافر الخصب كان يطلق عليه اسم (مرج)، فكانت غرناطة غارقة في البساتين فكانت تتبعها أكثر من

(1) انظر: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897هـ (1492.711م)، ص419، بتصرف.

(2) انظر: قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ص533، ص536، بتصرف

(3) التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897هـ ، ص 456.

ثلاثمائة قرية عامرة بالمحاصيل، وقد وفد إليها كثير من المهاجرين الذين استولى النصارى على بلادهم، وبالنسبة لعدد سكانها في ذاك الوقت أكثر من ألف ألف نسمة.⁽¹⁾

"فقد تلا ضعف السلطة الموحدية في الأندلس ضياع العديد من قواعده، زيادة على عدم توفر القوة الكافية لمواجهة أسبانيا النصرانية المتنامية التي كثيراً ما كانت تتحد لتوجه سوية ضربة للأندلس، كان ذلك سبباً مهماً في هذا الاتحاد، مهم أن تظهر محاولات وتبرز شخصيات، تُمسك على الأندلس مابقي منها، كانت تلك مهمة شاقة وجد عسيرة، لكن الأمل بها قائماً والنفوس متطلعة والإمكانية متوفرة".⁽²⁾

ويمكن إجمال أهم العوامل التي أدت إلى سقوط غرناطة في النقاط التالية:

1- الإغراق في الترف والانغماس بالملذات وحب الدنيا، والركون إلى ملذاتها وشهواتها وكثرة الأموال أدى ذلك إلى سقوط غرناطة.

2- ترك الجهاد في سبيل الله وحب الدنيا، فحين حادوا عن طريق الجهاد في سبيل الله ذلوا وأهينوا حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة:38] فلو عاش المسلمون على حب الجهاد والتمسك به لعاشوا في عزة وكرامة ومجد.

3- بُعد المسلمون عن دينهم وهجرهم للسنة النبوية وعدم الخوف والخشية من الله عزوجل، وأكل مال الحرام والربا وشرب الخمر والسب والشتم واللعن كتب عليهم الله الذلة فأبي نصر يرتجى؟.⁽³⁾

(1) وتذكروا من الأندلس الإبادة!، أحمد رائف، ص29، بدون طبعة، ديوان المطبوعات الجامعية، بدون تاريخ.

(2) التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897هـ، ص513.

(3) انظر: قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، ص691، ص692.

المطلب الثاني

الحالة الاجتماعية

المجتمع الأندلسي يتميز بمظهر أدبي وفكري حيث كانت اللغة السامية لغة القرآن الكريم، فأهل الأندلس كانوا يتميزون بعروبتهم وعزة النفس فهم عرب بالانساب وعلو الهمة وفصاحة لسانهم، ومن ناحية أخرى كان للمرأة مكانة عظيمة ولها شأن كبير فكانت تتمتع بقدر كبير من الحرية.

أولاً: لغة أهل الأندلس:

أهل الأندلس كان لهم نظام معين من الملبس والمأكل والمشرب فقد اشتهر أهل الأندلس بنظافتهم ونظافة مأكلمهم ومشربهم، ومنازلهم لا تختلف عن منازل العالم الاسلامي فكانت البيوت تبنى من الأحجار، وكان أهل الأندلس نابغين في فلاحه الأرض والزراعة والحرف.

"فكان المجتمع الأندلسي يموج بعناصر مختلفة جمعها المكان، فكان فيهم العرب الخالص، وهم الذين كان لثقافتهم وللغتهم السلطان الكامل. لذا كان للأندلس مظهر أدبي وفكري واحد وحدته تلك اللغة السامية لغة القرآن الكريم، وكان فيهم البربر وكانوا غالبية الجيش حين الفتح الإسلامي للأندلس، وقد تزايدوا بعد الفتح لقرب الأندلس من بلادهم، وفيهم حدة طباع ونفرة شديدة أحياناً، ولذلك كانوا وقود الفتن وموقديها، وكان في ذلك المجتمع الصقلية ومن اعتنق الإسلام من سكان البلاد الأصليين ومن بقي على ديانته ذمياً له ما للمسلمين وعليه ما عليهم".⁽¹⁾

ثانياً: فضل أهل الأندلس:

تميز أهل الأندلس بعروبتهم في النسب وعزة نفوسهم وفصاحة لسانهم وطهر نفوسهم. إن أهل الأندلس هم عرب في الأنساب والعز والانفة وحسن الهمة في الملبس والمطعم، والنظافة والطهارة، والحب لله والغناء، وتوليد اللحوم، ومن أجل ولاية عطارده حسن التدبير، والحرص على طلب العلم، وحب الحكمة والفلسفة والعدل والإنصاف..⁽²⁾

(1) ابن حزم وموقفه من الإلهيات، ص104.

(2) انظر: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، ج3، ص150، ط1، دار صادر-بيروت، 1997م.

ثالثاً: زي أهل الأندلس:

كان الغالب على أهل الأندلس ترك العمائم، لاسيما في شرقها، فإن أهل غربها حيث لا تكاد ترى فيهم قاضياً ولا فقيهاً إلا وهو بعمامة، فكانت ثيابهم تفصل على طريقة خاصة، وايضاً اشتهروا بالنظافة في مأكلمهم ومشربهم.⁽¹⁾

رابعاً: مكانة المرأة:

الإسلام العظيم كرم المرأة وأعطاه حقوقها وفرض عليها واجبات مثلها مثل الرجل إلا ما اختص به الرجل دون المرأة فالمرأة في المجتمع الأندلسي تتميز بقدر كبير من الحرية فكان لها دورها في المجتمع.

"فلها مكانتها، وشأنها شأن الرجل بلا أي تفاوت من الناحية الإنسانية وذلك في حدود ما أوجبه الإسلام، على أساس طبيعة المرأة وفطرتها، لقد كانت تتمتع بقسط كبير من الحرية، وكان بعضهن يتمتعن بنفوذ كبير في الحياة العامة السياسية والمدنية. ولا ننسى ما كان لصبح أيام الحكم وابن أبي عامر، وقد شارك بعضهن في رواية الحديث فكانت "غالبية" بنت محمد المعلمة تروي الحديث، وكذلك كانت فاطمة بنت يحيى بن يوسف، وشارك أخريات في الشعر، ومنهن عائشة بنت أحمد بن قادم القرطبية، وكانت تمدح ملوك زمانها وتخطبهم بما يعرض لها من حاجاتها".⁽²⁾

خامساً: دور المسجد:

المسجد هو المكان الذي يتربى فيه الأفراد على الأخلاق الحميدة فهو بمثابة مركز الحياة الاجتماعية التي يركز عليها المجتمع، فكان المسجد في قرطبة تحل فيه كثير من المشكلات البسيطة.

"فكان المسجد هو مركز الحياة الاجتماعية في قرطبة، فكانت تقام حوله الأسواق والحوانيت، بالإضافة إلى الدور الاجتماعية والدينية والسياسية والعلمية الذي يقوم به المسجد، ففيه كانت تعقد الاجتماعات، وتقرأ به المنشورات والأوامر النظامية، وتحل كثير من المشكلات السهلة، أما المشكلات المعقدة فتحال إلى المحاكم".⁽³⁾

(1) انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، ج1، ص222، بدون طبعة، دار صادر-بيروت، 1900م.

(2) ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ص 45، ص46، عبد الحليم عويس، الطبعة الثانية، الزهراء للإعلام العربي، 1409هـ - 1988م.

(3) المرجع السابق، ص 48.

المبحث الثاني

حياه ابن حزم العلمية

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: شيوخه.

المطلب الثاني: تلاميذه.

المطلب الثالث: رحلاته العلمية.

المطلب الرابع: أقوال العلماء في ابن حزم.

المطلب الأول

شيوخه

عاش ابن حزم في عصر نهضت فيه الثقافة، وأخذت تسير نحو العلياء حيث علت راية العلم، ووجد العلماء الذين جمعوا بين الثقافات المتعددة، وألفوا الكتب القيمة، وكان من أمثال هؤلاء الإمام أبي عمر ابن عبد البر، وأبي الوليد الباجي، وغيرهما ممن اشتهر بسعة الأفق وكثرة المعارف، كما أن حركة الترجمة نشطت في عهد المأمون، وحين نقرأ كتاب ابن حزم في المنطق نجد أثر ذلك واضحاً، كما أن مناقشته للفرق المتعددة في كتابه "الفصل" تنبئ عن علم بما ترجم في عصره، وما قلبه من كتب اليونان.⁽¹⁾

فنشأ ابن حزم في قصور الأمراء، وترى على موائد الوزراء، فكانت مراحل حياته بين العلم والعلماء، فتعلم منهم أسرار الشريعة وفقه الحياة، فقد قام والده باختيار مجموعة من رجالات الإسلام وعمالقة الأدب فكان ثمرة ذلك تكوين ابن حزم فقيه الإسلام وشيخ العلماء.⁽²⁾

تلقى ابن حزم العلم عن كثير من العلماء من ذوي الرأي والإحاطة من علماء عصره، وقد صحب في صغره ومن هؤلاء الشيوخ:

أولاً: **أبو علي الحسين بن علي الفاسي**: "وكان هذا كما وصفه ابن حزم: "عاقلاً عالماً ممن تقدم في الصلاح والنسك الصحيح، والزهد في الدنيا والاجتهاد للآخرة، فكانت هذه الصحبة في مجلس أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي شيخه وأستاذه، وقد تلقى عنه الحديث والنحو واللغة".⁽³⁾

ثانياً: **عبد الله بن يوسف بن نامي بن يوسف بن أبيض الرهوني**: من أهل قرطبة، يكنى: أبا محمد. روى عن أبي الحسن الأنطاكي، وأبي بكر عباس بن أصبغ، وأبي عبد الله محمد ابن خليفة، وخلف بن القاسم، وأحمد بن فتح الرسان، وأبي عمر الطلمنكي وغيرهم، وكان رجلاً صالحاً خيراً فاضلاً لا يقف بباب أحد، وكان مجوداً للقرآن، حسن الخلق، جيد العقل خاشعاً، كثير البكاء متحريراً فيما يسمع متحفظاً ورعاً في دينه وقرأ القرآن على أبي محمد مكي بن أبي طالب. ولد سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة.

(1) انظر: ابن حزم ومنهجه في الأديان، محمود علي حماية، ص22، ص23، الطبعة الأولى، دار المعارف، 1983م، بتصرف.

(2) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص7، بتصرف.

(3) ابن حزم وموقفه من الإلهيات، ص52، ص55.

قال أبو مروان الطبري: وتوفي رحمه الله يوم الثلاثاء لتسع خلون من شهر رمضان سنة خمس وثلاثين وأربع مئة. واختلط في آخر عمره فترك الأخذ عنه. ذكر ذلك ابن حيان (1).

ثالثاً: مسعود بن سليمان بن مفلت أبو الخيار، وعنه أخذ القول بالظاهر، ويذكر ابن حزم في كتابه "طوق الحمامة" قرأ منه معلقة طرفة بن العبد مشروحة في المسجد الجامع في قرطبة. (2)

رابعاً: محمد بن الحسن المذحجي القرطبي المعروف بابن الكناني، وكان أديباً شاعراً طبيباً له في الطب رسائل، وكتب في الأدب، حيث أن ابن حزم يصف كتبه في الفلسفة على أنها مشهورة ومتداولة وتامة الحسن، ويذكر كتبه في الطب ويصفها بأنها كتب رفيعة حسان، وابن حزم يدعو محمد المذحجي باستاذة. (3)

خامساً: أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن الحباب بن الجصور: "الأموي مولى لهم من أهل قرطبة، يكنى: أبا عمر. وكناه ابن شنظير أبا عمير وضبطه، روى عن قاسم بن أصبغ، ومحمد بن معاوية القرشي، ووهب بن مسرة، ومحمد بن عبد الله ابن أبي دليم، والحبيب بن أحمد، ومحمد بن رفاعة القلاس، وأحمد بن مطرف، وأحمد بن سعيد بن حزم، ومنذر القاضي، وخالد بن سعد، وأحمد بن الفضل الدينوري وغيرهم، حدث عنه أبو عمر بن عبد البر، والصاحبان، وأبو عبد الله الخولاني وقال: كان من أهل العلم، ومتقدماً في الفهم، يعقد الوثائق لمن قصده، وفي المحافل لمن أنذره، حافظاً للحديث والرأي، عارفاً بأسماء الرجال، قديم الطلب، وذكره الحميدي وذكر نسبه وقال: محدث مكثر. قال أبو محمد بن حزم: وهو أول شيخ سمعت منه قبل الأربع مائة. ومات في منزله ببلاط مغيث بقرطبة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي القعدة سنة إحدى وأربع مائة". (4)

(1) انظر: الفصل والملل والأهواء والنحل، ج1، ص7، انظر: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، أبو القاسم ابن بشكوال، صححه عزت العطار الحسيني، ج1، ص262، الطبعة الثانية، مكتبة الخانكي، 1374هـ، 1955م، بتصرف.

(2) انظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، ص47، ص48، بتصرف.

(3) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص8، بتصرف.

(4) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ج1، ص29.

◀ شيوخه في الحديث:

"يحيى بن عبد الرحمن بن مسعود بن موسى، "من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا بكر، سمع: من قاسم ابن أصبغ، وابن أبي دليم، وأحمد بن سعيد بن حزم، وأحمد بن مطرف، ومحمد بن معاوية القرشي، وكان رجلا صالحا أحد العدول عند ابن السليم، وابن زرب. وعمر عمرا طويلا. حدث عنه جماعة من العلماء. وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتين وأربع مائة، وكان يلتزم صناعة الخرازين".⁽¹⁾

◀ شيوخه في الفقه:

مسعود بن سليمان بن مفلت الشنتريني: "الأديب من أهل قرطبة؛ يكنى أبا الخيار: حدث عنه أبو مروان الطبري قال: ولم يزل أبو الخيار هذا طالبا متواضعا عالما متعلما إلى أن لقي الله عز وجل على هذه الحال، وتوفي لعشر بقين من ذي القعدة من سنة ست وعشرين وأربع مائة".⁽²⁾

◀ شيوخه في الأدب:

حسان بن مالك بن أبي عبدة: "من أهل قرطبة، يكنى: أبا عبدة: روى عن أبي بكر الزبيدي، وأبي عثمان بن القزاز وغيرهما، وكان من جلة الأدباء وعلمائهم، روى عنه أبو مروان الطبري، وقال: توفي في شوال سنة ست عشرة وأربع مائة".⁽³⁾

◀ شيوخه في الفلسفة:

من شيوخ ابن حزم محمد بن الحسن المذحجي المعروف بابن الكتابي، تلقى ابن حزم الفلسفة والمنطق على يديه ووصفت كتبه في الطب على أنها كتب رفيعة حسان، وكذلك رسائله الفلسفية فيقول عنها ابن حزم أنها مشهورة ومتداولة، فائقة الجودة، ذو منفعة عظيمة.⁽⁴⁾

◀ شيوخه في التاريخ:

"أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن الحباب بن الجصور: "الأموي مولى لهم من أهل قرطبة، يكنى: أبا عمر. وكناه ابن شنظير أبا عمير وضبطه. روى عن قاسم بن أصبغ،

(1) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ج1، ص626، ص627.

(2) المرجع السابق، ج1، ص583.

(3) المرجع السابق، ج1، ص153.

(4) انظر: ابن حزم حياته وعصره وأراؤه وفقهه، محمد أبو زهرة، ص84، بدون طبعة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

ومحمد بن معاوية القرشي، ووهب بن مسرة، ومحمد بن عبد الله بن أبي دليم، والحبيب بن أحمد، ومحمد ابن رفاعة القلاس، وأحمد بن مطرف، وأحمد بن سعيد بن حزم، ومنذر القاضي، وخالد بن سعد، وأحمد بن الفضل الدينوري وغيرهم. حدث عنه أبو عمر بن عبد البر، والصاحبان، وأبو عبد الله الخولاني وقال: كان من أهل العلم، ومتقدماً في الفهم، يعقد الوثائق لمن قصده، وفي المحافل لمن أُنذره، حافظاً للحديث والرأي، عارفاً بأسماء الرجال، قديم الطلب.

وذكره الحميدي وذكر نسبه وقال: محدث كثير. قال أبو محمد بن حزم: وهو أول شيخ سمعت منه قبل الأربع مائة. ومات في منزله ببلاط مغيث بقرطبة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي القعدة سنة إحدى وأربع مائة⁽¹⁾.

المطلب الثاني

تلاميذه

ترك ابن حزم الكثير من المؤلفات في مجالات مختلفة، وتتلّمذ على يديه تلاميذ يحملون شعلة العلم من بعده ومن هؤلاء التلاميذ:

أولاً: الحميدي:

عربي صليبي من الأزد، كانت عائلته تسكن محلة الرصافة بقرطبة، وتحول والده منها إلى جزيرة ميورقة⁽²⁾، وهي جزيرة في البحر المتوسط تجاه شرق الأندلس، حيث ولد فيها قبل سنة عشرين وأربع مئة، اتصل الحميدي في ميورقة اتصالاً قوياً بالإمام الفقيه الكبير أبي محمد المعروف بأبن حزم الظاهري، فكان تأثير ابن حزم عليه عظيماً في آرائه العقائدية، وميله الشديد إلى الحديث، والابتعاد عن التقليد، وحين امتحن ابن حزم وشرّد عن وطنه بسبب تعصب المالكية عليه اضطر الحميدي إلى هجران الوطن والتوجه إلى المشرق لطلب العلم، فلقد أثنى عليه العلماء الذين عاصروا الحميدي أو ممن جاءوا من بعده ثناءً طيباً. قال عنه الأمير ابن ماكولا: أنشدني صديقنا الحميدي، وهو من أهل العلم والفضل والتيقظ، توفي الحميدي في سابع عشر من ذي

(1) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ج1، ص29.

(2) "بالفتح ثم الضم، وسكون الواو والراء يلتقي فيه ساكنان، وقاف: جزيرة في شرقي الأندلس بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة، بالنون"، معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، ج5، ص246، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1995 م،

الحجة من سنة 488هـ ، فدفن بالقرب من قبر الشيخ الفقيه أبي إسحاق الشيرازي، ومن أبرز مؤلفاته الجمع بين الصحيحين.⁽¹⁾

ثانياً: علي بن سعيد العبدي:

"من أهل جزيرة ميورقة؛ يكنى: أبا الحسن. سمع بها قديماً من أبي محمد بن حزم. وأخذ عنه أيضاً ابن حزم، ورحل إلى المشرق وحج، ودخل بغداد وترك مذهب ابن حزم وتفقه عند أبي بكر الشاشي".⁽²⁾

ثالثاً: شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن شريح الرعيني المقرئ:

"من أهل إشبيلية وخطيبها، يكنى: أبا الحسن . روى عن أبيه كثيراً، وعن أبي إسحاق بن شنظير، وعن أبي عبد الله بن منظور، وأبي الحسن علي بن محمد الباجي، وأبي محمد بن خزرج، وأجاز له أبو محمد بن حزم وأبو مروان بن سراج، وأبو علي الغساني وغيرهم. وكان: من جلة المقرئين، معدوداً في الأدباء والمحدثين، خطيباً بليغاً، حافظاً محسناً فاضلاً، حسن الخط، واسع الخلق، سمع الناس منه كثيراً ورحلوا إليه واستقضى ببلده ثم صرف عن القضاء".⁽³⁾

رابعاً: يعقوب بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا أسامة:

"وهو ولد الحافظ أبي محمد بن حزم روى عن أبيه، وعن أبي عمر بن عبد البر إجازة، وعن أبي العباس العذري. وحج وأدى الفريضة. وكان من أهل النباهة والاستقامة من بيته علم وجلالة".⁽⁴⁾

(1) انظر: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، لأبي عبد الله بن محمد فتوح بن عبد الله الحميدي، تحقيق بشار عواد معروف، محمد بشار عواد، ص8، ص10، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، 1429هـ، 2008م، بتصرف.

(2) الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ج1، ص401.

(3) المرجع السابق، ج1، ص229.

(4) المرجع السابق، ص651.

المطلب الثالث

رحلاته العلمية

كثرت رحلات ابن حزم إلى المدن المختلفة من بلاد الأندلس، وكان أكثر هذه الرحلات يصاحبها القلق والاضطراب، إذ كان مضطراً في كثير من تلك الأسفار ولم يكن مختاراً، وإن كان لدينا من الآثار التي تركها لنا أبو محمد ما يدل على رغبة كانت تجيش في نفسه لزيارة المشرق، حيث كانت بغداد قبلة العلوم، وأمنية المتمني من المفكرين والعلماء لينهلوا من علمها، ويجلسوا إلى شيوخها.⁽¹⁾

ومن المدن الأندلسية التي رحل إليها ابن حزم وكان لها أثر بالغ في حياته الفكرية، مدينة المرية⁽²⁾ التي ذهب إليها عندما وقع انتهاب جند البربر لمنازل ابن حزم في الجانب الغربي بقرطبة وسكنى مدينة المرية بيد أن المقام لم يطب له فيها، إذ كان اتجاه ابن حزم السياسي موالة الأمويين يثير له المتاعب ويخلق حوله جواً من الريبة يحول دون راحة باله ويحجب عنه كل هدوء، ومن ثم لم ينعم بالاستقرار في المرية إلا ثلاث سنوات اعتقل بعدها عند "خيران" -حاكم المدينة- بضعة أشه، هاجر بعدها إلى حصن القصر في الجانب الغربي من الأندلس حيث أقام عند صاحبه أبو القاسم بن هذيل شهوراً هادئة مستقرة. ثم سافر بعد ذلك إلى بلنسية⁽³⁾ لأغراض سياسية، ثم في نهاية الشوط الأول عاد إلى قرطبة، وقد كان شعور ابن حزم في هذه الرحلات أنه المطارد المبعد عن الأهل والوطن ظلماً وعدواناً.⁽⁴⁾

(1) انظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، ص54.

(2) "السين مهملة مكسورة، وباء خفيفة كورة ومدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير، وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة، وهي برية بحرية ذات أشجار وأنهار، وتعرف بمدينة التراب، وتتصل بها مدن تعد في جملتها، والغالب على شجرها القراسيا، ولا يخلو منه سهل ولا جبل"، معجم البلدان، ج1، ص490.

(3) "بالفتح ثم الضم، وسكون الواو والراء يلتقي فيه ساكنان، وقاف: جزيرة في شرقي الأندلس بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة، بالنون"، معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، ج5، ص246، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1995 م،

(4) انظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، ص54، ص55.

المطلب الرابع

أقوال العلماء في ابن حزم

تميز ابن حزم بسعة آفقه، فقد برع في شتى المجالات العلمية، وشهد له الكثير بكثرة علمه، فقد احتل ابن حزم منزلة علمية كبيرة من العلماء، فكان حقاً ابن حزم هو العالم الجليل الذي يستفاد من علمه وينهل منه العلماء.

أولاً: أقوال المؤيدين لابن حزم:

1- **ابن حيان:** قال عنه: طفق الملوك يقصونه عن قربهم، ويسيرونه عن بلادهم، إلى أن انتهوا به إلى منقطع أثره بترية بلده من بادية لبلة، وبها توفي رحمه الله سنة 456هـ، وهو في ذلك غير مرتدع، ولا راجع إلى مآرئدوا به، وقال عنه أيضاً، كان أبو محمد حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب وما يتعلّق بأذيال الأدب، مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة، وله في بعض تلك الفنون كتب كثيرة، غير أنه لم يخل فيها من غلط وسقط لجراسته في التسوّر على الفنون، وكان يحمل علمه هذا ويجادل من خالفه فيه، على استرسال في طباعه ومذل بأسراره واستناد إلى العهد الذي أخذه الله على العلماء من عباده لتبيّننه للنّاس ولا تكتّمونه، لم يك يلفظ صدعه بما عنده بتعريض، ولا يرفّه بتدريج، بل يصكّ به معارضه.⁽¹⁾

2- **الحمدي:** قال عنه: كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستتبّاً للأحكام من الكتاب والسنة، متفنناً في علوم جمة عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله من الوزارة وتدبير الممالك، متواضعاً ذا فضائل جمة، وتواليف كثيرة في كل ما تحقق به في العلوم وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات شيئاً كثيراً، وسمع سماعاً جماً، وأول سماعه من أبي عمر أحمد بن محمد بن الجصور قبل الأربع مائة، وألف في فقه الحديث كتاباً كبيراً سماه كتاب الإيصال، إلى فهم كتاب الخصال، الجامعة لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام، وسائر الأحكام، على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع. أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين في مسائل الفقه، والحجة لكل طائفة وعليها، والأحاديث الواردة في ذلك من الصحيح والسقيم بالأسانيد وبيان ذلك كله، وتحقيق القول فيه، وله كتاب الإحكام لأصول الأحكام في غاية النقص والإيراد الحجاج؛ وكتاب الفصل في الملل وفي الأهواء والنحل، وكتاب في الإجماع ومسائله على أبواب الفقه، وكتاب في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلّق بعضها ببعض، وكتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة

(1) انظر: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، تحقيق إحسان عباس، ج4، ص1654، ص1655، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م، انظر: ابن حزم حياته وعصره وأراؤه وفقهه، ص51.

والإنجيل، وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما يحتمل التأويل. وهذا مما سبق إليه، وكذلك كتاب التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية فإنه سلك في بيانه وإزالة سوء الظن عنه وتكذيب المخرقين به طريقة لم يسلكها أحد قبله فيما علمناه، وغير ذلك. وما رأينا مثله رحمه الله فيما اجتمع له مع الذكاء وسرعة الحفظ، وكرم النفس والتدين⁽¹⁾.

3- أبو رافع الفضل وأبو عبد الله الحميدي ووالد القاضي أبي بكر بن العربي وطائفة. وآخر من روى عنه مروياته بالإجازة أبو الحسن شريح بن محمد: "قالوا عنه: نشأ في تنعم ورفاهية ورزق ذكاء مفرطاً وذهناً سيالاً وكتباً نفيسة كثيرة وكان والده من كبراء أهل قرطبة؛ عمل الوزارة في الدولة العامرية وكذلك وزير أبو محمد في شببته وكان قد مهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر وفي المنطق وأجزاء الفلسفة فأثرت فيه تأثيراً ليته سلم من ذلك ولقد وقفت له على تأليف يحض فيه على الاعتناء بالمنطق ويقدمه على العلوم فتألمت له فإنه رأس في علوم الإسلام متبحر في النقل عديم النظير على ييس فيه وفرط ظاهرة في الفروع لا الأصول".⁽²⁾

4- أبو القاسم صاعد: "قال عنه: كان أبوه أبو عمر من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر مدبر دولة المؤيد بالله بن المستنصر المرواني ثم وزير للمظفر ووزير أبو محمد للمستظهر عبد الرحمن بن هشام ثم نبذ هذه الطريقة وأقبل على العلوم الشرعية وعني بعلم المنطق وبرع فيه ثم أعرض عنه. قلت: ما أعرض عنه حتى زرع في باطنه أمورا وانحرافاً عن، السنة قال: وأقبل على علوم الإسلام حتى نال من ذلك ما لم ينله أحد بالأندلس قبله".⁽³⁾

ثانياً: أقوال من مدحه ولكن نقد بعض أخطائه:

1- الحافظ ابن حجر العسقلاني: "ابن حزم الحافظ الظاهري صاحب التصانيف، كان أوسع الحفظ جداً إلا أنه لثقة حافظت كان يهجم كالقول في التعديل والتخريج وتبين أسماء الراوة فيقع له من ذلك أوهام شنيعة وقد تتبع كثيراً منها الحافظ قطب الدين الحلبي ثم المصري من المحلي".⁽⁴⁾

(1) انظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: 488هـ)، ص 308، بدون طبعة، الدار المصرية للتأليف والنشر - القاهرة، 1966م، انظر: سير أعلام النبلاء، ج 13، ص 374.

(2) سير أعلام النبلاء، ج 13، ص 374.

(3) المرجع السابق، ج 13، ص 375.

(4) لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق: دائرة المعارف النظامية - الهند، ص 198، ج 4، الطبعة الثانية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، 1390هـ - 1971م

2- شيخ الإسلام ابن تيمية" ابن حزم مع كثرة علمه وتبحره وما يأتي به من الفوائد العظيمة، له من الأقوال المنكرة الشاذة ما يعجب منه كما يعجب مما يأتي به من الأقوال الحسنة الفاتنة"⁽¹⁾.

ثالثاً: أقوال الناقدين لابن حزم:

1- أبو العباس ابن العريف: "كان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين، لا يكاد يسلم أحد من لسانه، فنفرت عنه القلوب واستهدف لفقهاء وقته، فتمالأوا على بغضه وردوا قوله واجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ منه، فكان لسان ابن حزم وسيف الحجاج بن يوسف شقيقين، وإنما قال ذلك لكثرة وقوعه في الأئمة".⁽²⁾

2- المقرئ في ابن حزم: "وعلى الجملة فهو نسيج وحده، لولا ما وصف به من سوء الاعتقاد، والوقوع في السلف الذي أثار عليه الانتقاد، سامحه الله تعالى".⁽³⁾

4- أبو بكر بن العربي "على أبي محمد في كتاب "القواصم والعواصم" وعلى الظاهرية فقال: هي أمة سخيفة تسورت على مرتبة ليست لها وتكلمت بكلام لم نفهمه تلقوه من إخوانهم الخوارج حين حكم علي عليه السلام يوم صفين فقالت: لا حكم إلا لله. وكان أول بدعة لقيت في رحلتي القول بالباطن فلما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملأ به المغرب سخيلاً كان من بادية إشبيلية يعرف بابن حزم نشأ وتعلق بمذهب الشافعي ثم انتسب إلى داود ثم خلع الكل واستقل بنفسه وزعم أنه إمام الأمة يضع ويرفع ويحكم ويشرع ينسب إلى دين الله ما ليس فيه ويقول عن، العلماء ما لم يقولوا تنفيراً للقلوب منهم وخرج عن، طريق المشبهة في ذات الله وصفاته".⁽⁴⁾

(1) مجموع الفتاوى لابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن العاصمي النجدي الحنبلي، ج4، ص396، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م

(2) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، ج3، ص327، ص328، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، 1900م. بدون طبعة.

(3) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (المتوفى: 1041هـ)، المحقق: إحسان عباس، ج2، ص78، دار صادر - بيروت - لبنان الطبعة الأولى، 1997م،

(4) سير أعلام النبلاء، ج13، ص375.

المبحث الثالث

علم ابن حزم ومصنفاته

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تراث ابن حزم الموجود.

المطلب الثاني: تراث ابن حزم المفقود.

المطلب الأول

تراث ابن حزم الموجود

تحتل آثار ابن حزم العلمية مكانة فريدة وعظيمة في مجالات المعرفة، فمؤلفاته ذات أهمية كبيرة لها من الفضل على العلماء من بعده، فمؤلفاته منها ما هو موجود ومنها ما هو مفقود وسأذكر هذه المؤلفات على النحو التالي.⁽¹⁾

- الفصل في الملل والأهواء والنحل.
- الإحكام في أصول الأحكام.
- الأصول والفروع.
- أسماء الصحابة والرواة.
- أسماء الخلفاء المهديين والأئمة أمراء المؤمنين.
- أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا.
- الإعراب عن الحيرة والتباس الواقعين في مذهب أهل الرأي والقياس.
- إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل.
- التقريب لحد المنطق، والمدخل إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية.
- التوقيف على شارع النجاة، باختصار الطريق.
- التلخيص لوجوه التخليص.
- البيان عن حقيقة الإنسان.
- جمهرة أنساب العرب.
- جمل فتوح الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- حجة الوداع.
- الدرة في تحقيق الكلام فيما يلزم الإنسان اعتقاده في الملة والنحلة باختصار وبيان.
- ديوان ابن حزم
- الرد على ابن النغريلة اليهودي.
- رسالة في حكم من قال: إن أهل الشقاء معذبون إلى يوم الدين.
- رسالة في ألم الموت وإبطاله.

(1) انظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، ص70، ص92، بتصرف.

- رسالة في الرد على الهاتف من بعد.
- رسالة في الأمهات، وأمّهات الخلفاء.
- رسالة في الرد على الكندي الفيلسوف.
- السيرة النبوية.
- طوق الحمامة في الألفة والألاف.
- في الإمامة (في الصلاة).
- في مسألة الكلب.
- في الغناء أمباح هو أم محظور.
- فضل الأندلس وذكر رجالها.
- فصل في معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها.
- القراءات المشهورة في الأمصار.
- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل.
- المحلى.
- مراتب الإجماع.
- ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل.
- مراتب العلوم.
- منظومة في قواعد أصول فقه الظاهرية.
- المفاضلة بين الصحابة.
- نبذة في البيوع.
- النبذة الكافية في أصول الفقه الظاهري.
- النصائح المنجية من الفضائح والقبائح المردية من أقوال أهل البدع من الفرق الأربع المعتزلة والمرجئة والخوارج والشيعة..
- نقط العروس في تواريخ الخلفاء.
- الناسخ والمنسوخ.
- نكت الإسلام.

المطلب الثاني

تراث ابن حزم المفقود

العلم الذي خلفه وراءه ابن حزم من بعده يدل على سعة علمه، وبراعته في شتى المجالات العلمية، فابن حزم احتل منزلة كبيرة لكثرة مؤلفاته، فهذه المؤلفات منها ما هو موجود ومنها ما هو مفقود ومن هذه المؤلفات المفقودة.⁽¹⁾

– الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لمحصل شرائع الإسلام، في الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع.

– إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم مما لا يحتمل التأويل.

– الإملاء في قواعد الفقه.

– الإمامة والسياسة في سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها.

– الإجماع ومسائله على أبواب الفقه.

– أجوبة (كالأجوبة.. على المسائل المستغربة من البخاري لابن عبد البر).

– الإظهار لما شنع على الظاهرية.

– الآثار التي ظاهرها التعارض، ونفي التناقض.

– أخلاق النفس.

– إعجاز القرآن.

– إجازته لشريح بن شريح المقرئ.

– أسماء الله الحسنى.

– الاستجلاب.

– الاستقصاء.

– اختصار.

– اختصار كلام جالينوس في الأمراض الحادة.

– بيان غلط عثمان بن سعيد الأعور في المسند والمرسل.

(1) انظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، ص70، ص92، بتصرف.

- بيان الفصاحة والبلاغة.
- بلغة الحكيم.
- برنامجه.
- ترتيب مسند بن مخلد.
- ترتيب سؤالات عثمان الدرامي لابن معين.
- تسمية شيوخ مالك.
- التخليص والتلخيص في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص عليها في الكتاب والسنة.
- التصفح في الفقه.
- التحقيق في نقض كتاب العلم الإلهي لمحمد بن زكريا الرازي الطيب.
- الترشيذ في الرد على كتاب الفريد لابن الرواندي في اعتراضه على النبوات.
- التبيين، في هل علم المصطفى أعيان المناققين.
- تسمية الشعراء الوافدين على ابن أبي عامر.
- تواريخ أعمامه وأبيه وأخيه وبني عمه وأخواته وبنيه وبناته.
- الجامع في صحيح الأحاديث باختصار الأسانيد، والاقتصار على أصحها واجتلاب أكمل ألفاظها وأصح معانيها.
- جزء في أوهام الصحيحين.
- رسالة في الحد والرسم.
- الحدود (تهذيب 185/7).
- حد الطب.
- الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام من الواجب والحلال والحرام على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع.
- ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس.
- رسالة في آية «فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ» [يونس: 94]
- رسالة في أن القرآن ليس من نوع بلاغة البشر.
- رسالة في معنى الفقه الظاهري.

- رسالة في معنى الفقه والزهد.
- رد إسماعيل بن إسحاق في كتابه الخمس.
- رسالة في الوعد والوعيد وبيان الحق في ذلك من السنن والقرآن كتبها للأمير أبي الأحوص معن بن محمد التجبي.
- الرسالة اللازمة لأولي الأمر.
- الرد على ابن الإفليبي في شعر المتنبي (الصلة 274/1).
- رسالة في الطب النبوي.
- الرسالة البلقى في الرد على محمد عبد الحق بن محمد الصقلي.
- رسالة التأكيد.
- رسالة في الاعتقاد.
- رسالة المعارضة.
- زجر الفاوى.
- شرح فصول بقرط.
- شرح أحاديث الموطأ والكلام على مسأله.
- شيء من العروض.
- الصادع والرادع على من كفر أهل التأويل من فرق المسلمين والرد على من قال بالتنقيذ.
- العتاب على أبي مروان الخولاني.
- غزوات المنصور بن أبي عامر.
- كتاب في تفسير ﴿حَقَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ [يوسف: 110]
- تأليف في الرد على أناجيل النصارى.
- كتاب في الرد على من اعترض على كتاب الفصل.
- الفضائح.
- كتاب فيما خالف فيه أبو حنيفة ومالك والشافعي جمهور العلماء وما انفرد به كل واحد.
- فهرست شيوخه.
- مؤلف في الظاء والضاد.

- كتاب الفرائض.
- كتاب في الأدوية المفردة.
- كتاب القراءات.
- كشف الالتباس لما بين الظاهرية وأصحاب القياس.
- المجلى في الفقه على مذهبه واجتهاده.
- مختصر في علل الحديث.
- مختصر في علل المتأولين.
- مهم السنن.
- مراتب الديانة.
- مختصر (الموضح) لأبي الحسن المغلس الظاهري.
- مختصر الملل والنحل.
- مسألة الإيمان.
- مسألة في الروح.
- مسألة هل السواد لون أم لا؟
- مراتب العلماء وتواليهم.
- مقالة في شفاء الضد بال ضد. مقالة في المحاكمة بين التمر والزبيب.
- مقالة في النحل.
- مناظرات ابن حزم والباجي.
- مناسك الحج.
- الوجدان في مسند بقى بن مخلد.
- اليقين في النقض على الملحدين المحتجين عن إبليس اللعين وسائر الكافرين.

المبحث الرابع

عقيدة ابن حزم

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: توحيد الأسماء والصفات عند ابن حزم.

المطلب الثاني: قضاء الله وقدره.

توطئة:

"كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة بعد أن كان شافعي المذهب، فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر، وكان متقناً في علوم جمة، عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبير الممالك، متواضعاً ذا فضائل جمة وتوالت كثرية، وجمع من الكتب في علوم الحديث والمصنفات والمسندات شيئاً كثيراً، وسمع سماعاً جماً، وألف في فقه الحديث كتاباً سماه " الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة لحمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع " أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين، رضي الله عنهم أجمعين، في مسائل الفقه، والحجة لكل طائفة وعليها، وهو كتاب كبير، وله كتاب " الإحكام لأصول الأحكام " في غاية التقصي وإيراد الحجج".⁽¹⁾

إليك عقيدة ابن حزم فيما يلي:

المطلب الأول

توحيد الأسماء والصفات عند ابن حزم

أهل السنة والجماعة يؤمنون بصفات الله وأسمائه، فيؤمنون بما وصف الله به نفسه خالٍ من التحريف فهي لا تنكر ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء والصفات، و لا يقولون بالتكليف لا يسألون عن الكيفية، فالواجب عليهم إمرار آيات الصفات كما جاءت، وعدم تأويلها، فهم يثبتون لله أسمائه وصفاته بدون مماثلة فهم يقولون أن الله عزوجل لا يماثل خلقه فيما وصف فيه نفسه.

أولاً: الكلام في الرؤية

"فرق ابن حزم بين الإدراك والرؤية، حيث قال أن الإدراك عندنا في اللغة معنى زائد على النظر والرؤية، فالإدراك منتف عن الله تعالى على كل حال في الدنيا والآخرة، لأن في الإدراك معنى الإحاطة ليس الرؤية، برهان ذلك قول الله عزوجل ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: 61، 62].

ففرق الله تعالى بين الإدراك والرؤية فرقاً جلياً لأنه تعالى أثبت الرؤية بقوله ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجُمُعَانَ ﴾ [الشعراء: 61]، وأخبر الله تعالى أنه رأى بعضهم بعضاً فصحت منهم الرؤية لبني

(1) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص325.

اسرائيل، ونفى الله الإدراك بقول موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء:62].⁽¹⁾

قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:22، 23] تَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَئِذٍ لَا تُحْجَبُ عَنْهُ، يؤكد ابن حزم أن الله عزوجل يراه المسلمون يوم القيامة، ويقول أن الآية في رؤية الله ﷻ يوم القيامة موجبة للقبول، ورؤية الله عزوجل يوم القيامة كرامة للمؤمنين، ومحال أن تكون هذه الرؤية رؤية القلب لأن العارفين به تعالى يرونه في الدنيا بقلوبهم، وكذلك الكفار في الآخرة بلا شك، فإن قال قائل إنما أخبر الله تعالى بالرؤية عن الوجه، قيل له وبالله تعالى التوفيق: معروف في اللغة التي خوطبنا بها أن تنسب الرؤية إلى الوجه والمراد بها العين.

وايضاً ما يؤكد رؤية الله عزوجل حديث النبي ﷺ: (أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا، لَا تَضَامُونَ - أَوْ لَا تَضَاهُونَ - فِي رُؤْيَيْهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا) ثُمَّ قَالَ: «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا».⁽²⁾

أما الكفار فإنهم لا يرون ربهم حيث قال ﷻ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15]، فالكفار قد عذبوا بالحجاب عن ربهم في الآخرة؛ فحرموا لذة النظر إلى وجه الله الكريم، وحيل بينهم وبين رؤية الله عز وجل، على خلاف المؤمنين الذين يرون الله عز وجل يوم القيامة ويسعدون برؤيته فيرون ربهم - تبارك وتعالى - في الجنة رؤية فرح وسرور، ويتلذذون بالنظر إلى وجهه الكريم، وذلك أعلى وأفضل وأعظم الكرامات، وهذا مما أجمع عليه الصحابة والتابعون، ومن بعدهم من أئمة الهدى.⁽³⁾

"جاء في العقيدة الطحاوية عن الرؤية على أنها حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به الله في كتابه العزيز قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:22، 23] وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك في الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لاندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ماسلم في دينه إلا من سلم لله ﷻ ولرسوله، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه".⁽⁴⁾

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ص8.

(2) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، رقم الحديث 573، 1/119.

(3) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج3، ص10، بتصرف.

(4) العقيدة الطحاوية شرح وتعليق، محمد ناصر الألباني، ص12، بدون طبعة، بدون تاريخ.

"فجواز الرؤية من العباد المتقين لله ﷻ في القيامة، دون الدنيا، ووجوبها لمن جعل الله ذلك ثواباً له في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22، 23] وقال في الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ﴾ [المطففين: 15] فلو كان المؤمنون كلهم والكافرون كلهم لا يرونه، كانوا جميعاً عنه محجوبين، وذلك من غير اعتقاد التجسيم في الله عزوجل ولا التحديد له، ولكن يرونه عزوجل بأعينهم على ما يشاء هو بلا كيف".⁽¹⁾

ثانياً: القول في المكان والاستواء

"أهل السنة والجماعة لا يسألون عن الكيفية، فإذا قال لك قائل إن الله استوى على العرش، على هذه الكيفية.. ووصف كيفية معينة، نقول: هذا قد قال على الله ما لا يعلم! هل أخبرك الله بأنه استوى على هذه الكيفية؟! لا؛ أخبرنا الله أنه استوى، ولم يخبرنا كيف استوى. فنقول: هذا تكيف وقول على الله بغير علم، ولهذا قال بعض السلف: إذا قال لك الجهمي: إن الله ينزل إلى السماء؛ فكيف ينزل؟ قل: إن الله أخبرنا أنه ينزل، ولم يخبرنا كيف ينزل".⁽²⁾

"قال تعالى:- ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]

"أن الله استوى استواء يليق بجلاله ويناسب عظمته وجماله فاستوى على العرش واحتوى على الملك".⁽³⁾

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس: 3]، قال السعدي في تفسيره أن الله عزوجل استوى استواء يليق بعظمته.⁽⁴⁾

وقال جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]

"ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسمائه كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه.

(1) اعتقاد أئمة الحديث، أبو بكر أحمد الجرجاني، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، ص62، ص63، الطبعة الأولى، دار العاصمة- الرياض، 1412هـ.

(2) شرح العقيدة الواسطية، ابن تيمية، شرحه محمد الصالح العثيمين، ج1، ص98، دار ابن الجوزي، بدون طبعة، بدون تاريخ.

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن عبد الله السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص501، الطبعة الأولى، 1420هـ، 2000م.

(4) انظر: المرجع السابق، ص357.

{وَهُوَ السَّمِيعُ} لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. {الْبَصِيرُ} يرى دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا، وسريان الماء في الأغصان الدقيقة.

وهذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات".⁽¹⁾

فالاستواء أن الله عزوجل يستوى على عرشه استواء يليق بعظيم جلاله من غير طول واستقرار، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ("يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ")⁽²⁾.

فالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تؤكد على أن الله تعالى في السماء، مستو على عرشه، والسماء باجماع الناس ليست الأرض، فدل على أنه تعالى منفرد بوحدانيته، مستو على عرشه (استواء منزهاً عن الحلول والاتحاد)⁽³⁾

نؤمن بصفات الله تعالى كما وردت في الآيات والأحاديث ولا نسأل عن كيفيةها فهي علم ولا تشبيه. ولكن نؤمن بها بدون تكيف لانحرفها ولانأولها ولانشبهها.

"يقول ابن حزم قول الله تعالى يجب حمله على ظاهره ما لم يمنع من حمله على ظاهره نص آخر أو إجماع أو ضرورة حس وقد علمنا أن كل ما كان في مكان فإنه شاغل لذلك المكان ومالي له ومتشکل بشكل المكان والمكان متشکل بشكله ولا بد من أحد الأمرين ضرورة وعلمنا أن ما كان في مكان فإنه متناه بتناهي مكانه وهو ذو جهات ست أو خمس متناهية في مكانه وهذه كلها صفات الجسم فلما صح ما ذكرنا علمنا أن قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:16]، قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ [الواقعة:6]، وقوله تعالى ﴿مَا

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص754.

(2) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم الحديث 53/2، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم الحديث 521/1، 168.

(3) الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: فؤاد حسين محمود، ج1، ص2، ج2، ص108، ص113، الطبعة الأولى، دار الأنصار، 1397هـ، 1977م.

يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴿[المجادلة:7]، إِنَّمَا هُوَ التَّنْذِيرُ لَذَلِكَ وَالْإِحَاطَةُ بِهِ فَقَطْ ضَرُورَةٌ لَانْتِقَاءَ مَا عَدَا ذَلِكَ. (1)

قول ابن القيم: والرب تعالى يشتق له من أوصافه وأفعاله أسماء، ولا يشتق له من مخلوقاته. وكل اسم من أسمائه فهو مشتق من صفة من صفاته أو فعل قائم به به وهو سبحانه لا يتصف بما هو مخلوق منفصل عنه ولا يتسمى باسمه ولهذا كان قول من قال أنه يسمى متكلماً بكلام منفصل عنه وخلقه في غيره ومريد بإرادة منفصلة عنه وعادلاً بعدل مخلوق منفصل عنه وخالقاً بخلق منفصل عنه هو المخلوق قولاً باطلاً مخالفاً للعقل والنقل... فإذا لم يقم به فعل ولا صفة فلا معنى للاسم المجرد، وهو بمنزلة صوت لا يفيد شيئاً وهذا غاية الإلحاد (2)

يقول أبو الحسن الأشعري: "أن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزهاً عن الممارسة، والاستقرار، والتمكن، والحلول، والانتقال. لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى التخوم الثرى، فوقية لا نزيده قرباً إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش؛ كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل وجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد. (3)

قال تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}، قال ابن تيمية: "إنه على ظاهره، لم يقتض ذلك أن يكون ظاهره استواء كاستواء المخلوق، ولا حباً كحبه، ولا رضا كرضاه، فإن كان المستمع يظن أن ظاهر الصفات تماثل صفات المخلوقين، لزمه أن لا يكون شيء من ظاهر ذلك مراداً، وإن كان يعتقد أن ظاهرها هو ما يليق بالخالق ويختص به، لم يكن له نفي هذا الظاهر، ونفي أن يكون مراداً إلا بدليل يدل على النفي. وليس في العقل ولا في السمع ما ينفي هذا إلا من جنس ما ينفي به سائر الصفات، فيكون الكلام في الجميع واحداً. (4)

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج2، ص96.

(2) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة وزاليل، محمد بن قيم الجوزية، ص271، بدون طبعة، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 1398هـ - 1978م، بتصرف.

(3) الإبانة عن أصول الديانة، أبي الحسن الأشعري، تحقيق: فؤاد حسين محمود، ج2، ص21، الطبعة الأولى، دار الأنصار، 1397هـ، 1977م.

(4) التدميرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، تقي الدين ابن تيمية الدمشقي، محمد بن عودة السعوي، ص77، الطبعة السادسة، مكتبة العبيكان - الرياض، 1421هـ - 2000م.

"وقال الشيخ أبو محمد المقدسي: (إن الله وصف نفسه بالعلو في السماء، ووصفه بذلك رسوله خاتم الأنبياء، وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة والأتقياء، والأئمة من الفقهاء، فتواترت الأخبار بذلك، على وجه حصل به اليقين، وجمع الله عليه قلوب المسلمين، وجعله مغروراً في طباع الخلق أجمعين، فتراهم عند نزول الكرب يلحظون السماء بأعينهم، ويرفعون نحوها للدعاء أيديهم، وينتظرون مجيء الفرج من ربهم، وينطقون بذلك بألسنتهم، ولا ينكر ذلك إلا مبتدع، غال في بدعته، أو مفتون بتقليده واتباعه على ضلالته)".⁽¹⁾

ثالثاً: صفة السميع والبصر لله عز وجل

يؤمن أهل السنة والجماعة أن الله أسماء وصفات تليق بجلاله ونشئها كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية دون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف أو تمثيل فلا نسأل عن الكيفية ولا نغير المعنى واللفظ فنحمل المعنى على ما جاء به أي على ظاهره دون تحريف.

وَصَحَّ بِهَذَا الْبُرْهَانِ الْوَاضِحِ أَنَّهُ لَا يَدُلُّ حِينَئِذٍ عَلِيمٌ عَلَى عِلْمٍ وَلَا قَدِيرٌ عَلَى قُدْرَةٍ وَلَا حَيٌّ عَلَى حَيَاةٍ وَهَكَذَا فِي سَائِرِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا قُلْنَا بِالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْقُوَّةِ وَالْعِزَّةِ بِنُصُوصٍ أُخْرٍ يَجِبُ الطَّاعَةُ لَهَا وَالْقَوْلُ بِهَا. فَإِنْ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُؤْمِنُ قُلْنَا لَهُمْ نَعَمْ هُوَ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْمَصُورُ فَأَسْمَاؤُهُ بِذَلِكَ أَعْلَامٌ لَا مُشْتَقَّةٌ مِنْ صِفَاتٍ مَحْمُولَةٍ فِيهِ عِزٌّ وَجَلُّ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا كَانَ مُسَمًّى لَهُ عِزٌّ وَجَلُّ لِفَعْلِهِ فَهَذَا ظَاهِرٌ كَالْخَالِقِ وَالْمَصُورِ فَذَلِكَ إِقْرَارٌ مِنْهُ بِإِثْبَاتِ فَهَذَا إِقْرَارٌ مِنْهُ بِإِثْبَاتِ الْأَسْمَاءِ لِلَّهِ تَعَالَى دُونَ الصِّفَاتِ، وَأَنَّ الْأَسْمَاءَ الْحَسَنَى أَعْلَامًا مُحَضَّةً، فَصَحَّ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْمِيَ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا بِمَا سَمِيَ بِهِ نَفْسُهُ، وَصَحَّ أَنَّ أَسْمَاءَهُ لَا تَزِيدُ عَلَى تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ شَيْئًا، لِقَوْلِهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: «مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا» فَنفى الزيادة، وأبطلها، لكن يخبر عنه بما يفعل تعالى، وجاءت أحاديث في إحصاء التسعة والتسعين أسماء مضطربة لا يصح منها شيء أصلاً، فإنما تؤخذ من نص القرآن.⁽²⁾

"يقول ابن حزم: "وأجمع المسلمون على القول بما جاء به نص القرآن من أن الله تعالى سميع بصير ثم اختلفوا فقالت طائفة من أهل السنة والأشعرية وجعفر بن حرب من المعتزلة وهشام ابن الحكم وجميع المجسمة نقطع أن الله سميع بسمع بصير ببصر وذهبت طوائف من أهل السنة منهم الشافعي ودأود بن علي وعبد العزيز بن مسلم الكِنَانِي ̎ وغيرهم إلى أن الله تعالى سميع

(1) درء تعارض العقل والنقل، ص285.

(2) انظر: المحلى بالآثار، أبو محمد القرطبي الظاهري، ج6، ص282، بدون طبعة، دار الفكر بيروت، بدون تاريخ، انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، 117/2، بدون طبعة، مكتبة الخانجي - القاهرة، بدون تاريخ.

بَصِيرٍ وَلَا نَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ لَا بَصِيرَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَقُلْهُ وَلَكِنْ سَمِيعٌ بِذَاتِهِ وَبَصِيرٌ بِذَاتِهِ".⁽¹⁾

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]

فقد جاء في تفسير السعدي أن الله عزوجل لا يشبهه تعالى أحدا من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فالله عزوجل وصف نفسه بأسماء وصفات تليق بعظيم جلاله، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحيده بالكمال من كل وجه، {وَهُوَ السَّمِيعُ} لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، {الْبَصِيرُ} يرى دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا، وسريان الماء في الأغصان الدقيقة.

وهذه الآية، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات لله عزوجل فأهل السنة والجماعة تثبت لله ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات دون تكيف ولا تعطيل فيحملون النصوص على ظاهرها.⁽²⁾

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَجَعَلْنَا لَا نَصْعَدُ شُرْفًا، وَلَا نَهْبِطُ فِي وَادٍ إِلَّا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بِالتَّكْبِيرِ، فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ أَرِيعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا)⁽³⁾

المطلب الثاني

قضاء الله وقدره

المؤمنين بقضاء الله وقدره، إذا أصابتهم مصيبة أو حل بهم بلاء في أنفسهم يصبرون على ما كتبه الله عليهم، ويتذكرون أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، فهذا ما جاء به الكتاب والسنة النبوية، وما عليه أهل السنة والجماعة أن كل شيء من عند الله ويجب علينا الصبر والاحتساب.

"يقول ابن حزم في كتابه الفصل أن القدر في اللغة العربية الترتيب والحد الذي ينتهي إليه الشيء، فالله سبحانه وتعالى قضى وقدر وحكم بالقضاء والقدر يكون بأن الله عز وجل كتب جميع المقادير على مقتضى علمه سبحانه، وأن ما ينال الإنسان من خير أو شر لم يكن ليخطئه وما لم يناله لم يكن ليصيبه".⁽⁴⁾

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج2، ص109.

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص754.

(3) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عقبة، رقم الحديث 6384، 8/82.

(4) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج3، ص77.

"فمن العلماء من فرق بين القضاء والقدر، ولعل الأقرب أنه لا فرق بين القضاء والقدر في المعنى فكلّ منهما يدل على معنى الآخر، ولا يوجد دليل واضح في الكتاب والسنة يدل على التفريق بينهما، وقد وقع الاتفاق على أن أحدهما يصح أن يطلق على الآخر، مع ملاحظة أن لفظ القدر أكثر وروداً في نصوص الكتاب والسنة التي تدل على وجوب الإيمان بهذا الركن".⁽¹⁾

"أصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل فالله تعالى طوى علم القدر، حيث قال تعالى ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: 23]. فمن سأل لم فعل؟ فقد حكم برد الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين".⁽²⁾

"يقول ابن حزم في القضاء والقدر ذهب بعض الناس لكثرة استعمال المسلمين هاتين اللفظتين إلى أن ظنوا أن فيهما معنى الإكراه والإجبار، وليس كما ظنوا وإنما معنى القضاء، في لغة العرب التي بها خاطبنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وبها نتخاطب ونتفاهم مرادنا أنه الحكم فقط، لذلك يقولون: القاضي: بمعنى الحاكم، وقضى الله عزوجل بكذا أي حكم به، ويكون أيضاً بمعنى أمر، وإن كل ما كان فهو مقدر من الله تعالى من خير وشر فهو الخالق لكل ما يكون في الوجود ولا عذر لأحد بالقدر".⁽³⁾

رأي ابن حزم في قضاء الله وقدره موافق لرأي ابن تيمية وغيره من علماء السلف. وهو رأي أهل السنة والجماعة كما ذكر ابن تيمية بقوله مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خالق كل شيء، وربّه ومليكه لا رب غيره ولا خالق سواه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، والعبد مأمور بطاعة الله، وطاعة رسوله، منهي عن معصية الله، ومعصية رسوله، فإن أطاع كان ذلك نعمة، وإن عصى كان مستحقاً للذم والعقاب.⁽⁴⁾

يتضح مما سبق أن مذهب ابن حزم في قضاء الله وقدره موافق لما جاء به أهل السنة والجماعة وأن مذهبه موافق لمذهبهم.

أولاً: خلق أفعال العباد

لقد أناط الشارع المسؤولية والتكليف على وجود الاختيار، فإذا فقد الاختيار فلا مسؤولية ولا حساب، فلو كان القدر يسلب اختيار الإنسان لم يكن مسؤولاً في ذلك، لأن الشارع لا يسألك عما لا

(1) موجز مبسط عن مسألة خلق أفعال العباد، عبد الله بن علي صغير، ص8، بدون طبعة، بدون تاريخ.

(2) العقيدة الطحاوية شرح وتعليق، محمد ناصر الألباني، ص18، بدون طبعة، بدون تاريخ.

(3) ابن حزم وموقفه من الإلهيات، ص414، ص415.

(4) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج3، ص77، انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية،

ج8، ص63، بدون طبعة، 1425هـ، 2004م.

اختيار لك فيه، فالمسؤولية والعقوبات منوطة على وجود الاختيار، وحيث لا اختيار فلا مسؤولية.⁽¹⁾

كل شيء يجري بتقدير الله ومشيتته، ومشيتته تنفذ، لا مشيئة للعباد، إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن وذلك أن مشيئة الله شاملة لكل ما يقع في هذا الكون من خير أو شر. هدي أو ضلال.⁽²⁾

"وإن الخير والشر والحلو والمر، بقضاء من الله عز وجل، أمضاه وقدره، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله، وإنهم فقراء إلى الله عز وجل، لا غنى لهم عنه في كل وقت".⁽³⁾

"قال ابن حزم اختلفوا في خلق الله تعالى لأفعال عباده فذهب أهل السنة كلهم وكل من قال بالاستطاعة مع الفعل كالمريسي وابن عون والنجارية والأشعرية والجهمية وطوائف من الخوارج والمرجئة والشيعة إلى أن جميع أفعال العباد مخلوقة خلقها الله عز وجل في الفاعلين لها ووافقهم على هذا موافقة صحيحة من المعتزلة ضرار بن عمرو وصاحبه أبو يحيى حفص الفرد وذهب سائر المعتزلة ومن وافقهم على ذلك من المرجئة والخوارج والشيعة إلى أن أفعال العباد محدثة فعلها فاعلوها ولم يخلقها الله عز وجل على تخليط منهم في ماهية أفعال النفس إلا بشر بن المعتز عطف فقال إلا أنه ليس شيء من أفعال العباد إلا والله تعالى فيه فعل من طريق الاسم والحكم يريد بذلك أنه ليس للناس فعل إلا والله تعالى فيه حكم بأنه صواب أو خطأ ونسميه بأنه حسن أو قبيح طاعة أو معصية".⁽⁴⁾

يذهب ابن حزم كأهل السنة إلى أن جميع أفعال العباد مخلوقة خلقها الله عز وجل في الفاعلين لها ويستدل على هذا من طريق النص، ومن طريق النظر. فيستدل من طريق النص:

أولاً: قوله تعالى ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: 3] ودلالة الآية ظاهرة على نفي وجود خالق سواه.

(1) انظر: محاضرات حول الإيمان بالقضاء والقدر ألّفها عبد الله سراج الدين الحسيني، ص16، بدون طبعة، بدون تاريخ، بتصرف.

(2) انظر: العقيدة الطحاوية، ص7.

(3) اعتقاد أئمة الحديث، أبو بكر أحمد الجرجاني، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، ص61، ص62، الطبعة الأولى، دار العاصمة- الرياض، 1412هـ.

(4) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج3، ص81، ص82.

ثانياً: قوله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [الروم: 30] وهذا برهان جلي على أن الدين مخلوق لله عزوجل.

ثالثاً قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان: 3].

يؤكد ابن حزم من خلال طريق النص والنظر على أن الله تعالى خالق أفعال العباد خيرها وشرها كل ذلك مخلوق خلقه الله عزوجل، وهو تعالى خالق الاختيار والإرادة والمعرفة في نفوس عباده، ولا عذر لأحد بما قدر الله تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهو الحاكم الذي لاحكم عليه ولا معقب لحكمه يقول تعالى: ﴿ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: 107].

إذاً مذهب ابن حزم في أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وهذا مذهب السلف وهو المشهور من مذاهب العلماء، و يقول ابن تيمية: أفعال العباد " مخلوقة باتفاق سلف الأمة وأئمتها كما نص على ذلك سائر أئمة الإسلام: الإمام أحمد ومن قبله وبعده حتى قال بعضهم: من قال: إن أفعال العباد غير مخلوقة، فهو بمنزلة من قال: إن السماء والأرض غير مخلوقة وقال يحيى بن سعيد العطار: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون أفعال العباد مخلوقة. وكان السلف قد أظهروا ذلك لما أظهرت القدرة أن أفعال العباد غير مخلوقة لله وزعموا أن العبد يحدثها أو يخلقها دون الله فبين السلف والأئمة أن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها.⁽¹⁾

"فمشيئة الله نافذة وقدرته شاملة، والايمان بأن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن ما من حركة ولا سكون إلا بإذن الله عزوجل، وأن الله على كل شيء قدير، فالله ﷻ خلق الخلق وكتب في لوحه المحفوظ ماشاء، حيث يكتب الله للإنسان رزقه، وأجله، وعمله وشقي أم سعيد، فهذا القدر يؤمن به المسلمون. وعلى الرغم من ذلك أمر الله عباده بطاعته وطاعة رسوله، حيث نهى الله عباده عن معصيته، فالعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن والكافر، وخالق قدرتهم وإرادتهم، قال تعالى ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [التكوير: 28-29]⁽²⁾

(1) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج3، ص84، ص85، انظر: مجموع الفتاوى، تقي الدين بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، ص406، ص407، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ، 1995م.

(2) العقيدة الطحاوية شرح وتعليق، ص18، ص19.

ثانياً: الهدى والتوفيق والضلال

الله عزو جل خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقداراً، وضرب لهم آجالاً، ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم. وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته. وكل شيء يجري بتقديره ومشيتته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء الله لهم، فما شاء الله لهم كان، وما لم يشأ لم يكن. فالله عزو جل يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي عدلاً.⁽¹⁾

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: 115-116]

"أي ما كان الله ليوقع الضلالة في قلوبهم بعد الهدى حتى يبين لهم ما يتقون فلا يتقوه فعند ذلك يستحقون الإضلال، قلت: ففي هذا أدل دليل على أن المعاصي إذا ارتكبت وانتهك حجابها كانت سبباً إلى الضلالة والردى وسلباً إلى ترك الرشد والهدى".⁽²⁾

"قال ابن حزم رحمه الله بين الله عزوجل في نص القرآن أن إضلاله لمن أضل من عباده إنما هو أن يضيق صدره عن قبول الإيمان وأن يحرجه حتى لا يرغب في تفهمه والجنوح إليه ولا يصبر عليه الرجوع إلى الحق حتى يكون كأنه يتكلف في ذلك الصعود إلى السماء،

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: 115]، فهو كما قال الله عز وجل وهو حجة على المعتزلة لأن الله تعالى أخبر أنه لا يضل قوماً حتى يبين لهم ما يتقون وما يلزمهم وصدق الله عز وجل لأن المرء قبل أن يأتيه خبر الرسول غير ضال بشيء مما يفعل أصلاً فإنما سمي الله تعالى فعله في العبد إضلالاً بعد بلوغ البيان إليه لا قبل ذلك وبالله التوفيق فصح بهذه الآية أنه تعالى يضلهم بعد أن يبين لهم وقد فسر بعضهم الإضلال بأنه منع اللطف الذي يقع به الإيمان فقط".⁽³⁾

(1) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، ج1، ص23، الطبعة الأولى، دار المودة، 1431هـ، 2011م، بتصرف.

(2) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ص276، ص277، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، 1384هـ، 1964م.

(3) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج3، ص28، ص29.

"فيقول رحمه الله أن الله تعالى خلق نفس الإنسان مميزة عاقلة عارفة بالأشياء على ماهي عليه فهمة بما تخاطب به. وجعلها مأمورة منبهة فعالة منعمة معذبة ملتذذة آلمة حساسة، وخلق فيها قوتين متعاديتين متضادتين في التأثير وهما التمييز والهوى كل واحدة منهما تريد الغلبة على آثار النفس، فالتمييز هو الذي خص به نفس الإنسان والجن والملائكة دون الحيوان الذي لا يكلف، والذي ليس ناطقاً، والهوى هو الذي يشاركها فيه نفوس الجن والحيوان الذي ليس ناطقاً من حب الذات والغلبة، فالملائكة ليس عندها هذه القوة، لذلك لم يقع منها معصية أصلاً بوجه من الوجوه.

إن الهدى والتوفيق هو تيسير الله تعالى المؤمن للخير الذي له خلقه، وأن الخذلان تيسيره الفاسق للشر الذي له خلقه. وهذا موافق للغة القرآن والبراهين الضرورية العقلية، ولما عليه الفقهاء، والأئمة المحدثون من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وعامة المسلمين".⁽¹⁾

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: 17]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: 35].

فصح يقيناً أن كل ما أوردنا من الآيات متفق لا مختلف فنظرنا فيها فوجدناها ظاهرة لائحة وهو أن الله تعالى أخبر أنه هدى ثمود فلم يهتدوا، وهدى الناس كلهم السبيل ثم هم بعد إما شاكراً وإما كفوراً.

فالهدى يكون بمعنى الدلالة تقول: هديت فلاناً الطريق بمعنى أريته إياه ووقفته عليه واعلمته غياه سواء سلكه أو تركه.

ويكون الهدى بمعنى التوفيق والعون على الخير والتيسير له وخلق له لقبول الخير في النفوس فهذا هو الذي أعطاه الله عز وجل الملائكة كلهم والمهتدين من الإنس والجن فالهدى والتوفيق هو تيسير الله عز وجل للإنسان المؤمن للخير الذي خلق له، وأن الخذلان تيسيره للفاسق للشر الذي خلق له، وهذا موافق للغة القرآن والبراهين الضرورية العقلية، ولما عليه الفقهاء، والأئمة المحدثون من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المسلمين.⁽²⁾

ثالثاً: رأي العلماء في ابن حزم:

"يرى ابن تيمية أن ابن حزم يستحمد بموافقة السنة والحديث فيما ذكره في مسائل القدر والإرجاء ونحو ذلك، بخلاف ما انفرد به من قوله بالفضل بين الصحابة، وكذلك ما ذكره في باب

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج3، ص73، ص74.

(2) انظر: المرجع نفسه، ج3، ص64.

الصفات، فإنه يستحمد فيه بموافقة أهل السنة ، والحديث لكونه يثبت الأحاديث الصحيحة، ويعظم السلف(الصحابه والتابعين)، وأئمة الحديث ويقول أنه موافق للإمام أحمد في مسألة القرآن وغيرها ولا ريب أنه موافق له ولهم في بعض ذلك، لكن الأشعري ونحوه أعظم موافقة للإمام أحمد بن حنبل ومن قبله من الأئمة في القرآن والصفات، وإن كان ابن حزم في مسائل الإيمان والقدر أقوم من غيره وأعلم بالحديث، وأكثر تعظيماً له ولأهله وغيره، لكنه قد خالط أقوال الفلاسفة والمعتزلة في مسائل الصفات ماصرفه عن موافقة أهل الحديث في معاني مذهبهم، فوافق هؤلاء في اللفظ وهؤلاء في المعنى".⁽¹⁾

(1) نقض المنطق، ابن تيمية، ص17، ص18، الطبعة الأولى، مطبعة السنة المحمدية، 1370هـ ، 1951م